هل هناك صديق أعز وأغلى لإسرائيل من جيري فالويل؟!

03-7-2003

لن يجد الشعب اليهودي في اسرائيل وفي العالم صديقا أغلى من جيري فالويل، هذا ما تعود أن يردده باستمرار رجل الأعمال الأصولي النصراني..قام هذا التحالف المبهم بين اسرائيل والمسيحيين المحافظين عام 1977 عندما وصل مناحيم بيغن ومعه حزب الليكود للسلطة في اسرائيل للمرة الأولى وكان بيغن يريد وبأي ثمن كبح مبادرات الرئيس الأمريكي جيمي كارتر

لن يجد الشعب اليهودي في اسرائيل وفي العالم صديقا أغلى من جيري فالويل، هذا ما تعود أن يردده باستمرار رجل الأعمال الأصولي النصراني. وفي عام 1985 وفي حفل استقبال أقامه على شرف موشي أرينز وزير الدفاع الاسرائيلي آنذاك وأحد قادة حزب الليكود، اقترب من الوزير وقال له: "أريد أن اشكركم من جديد على الطائرة التي قدمتموها لي". كانت تلك هدية قدمتها الحكومة الإسرائيلية لقاء خدماته العديدة التي قدمها لها. ينتمي فالويل إلى الأوساط المعروفة بـ "المسيحيين الصهيونيين" والذين يشكلون مجموعة ضغط منظمة بشكل جيد وغير خاضعة لسيطرة القادة السياسيين الأمريكيين، وكان تعبير الأصوليين "يدل منذ أواسط القرن العشرين على شكل متطرف وعنيف من البروتستانتية ويركز على ضرورة النضال ضد الإنحطاط الثقافي وضد "اللاهوت الليبرالي"، وبالتالي يعادي بشدة بعض النظريات العلمية، مثل نظرية التطور ويطالب بحذفها تماما من المناهج الدراسية لما تثيره من "رعب" وما تحتوي عليه من "عبء"، وما يثير القلق أكثر تبني عدد منهم (من أعضاء هذه الحركة) للمقولات التي كان قد نشرها القس الانجليزي الأسود جون داربي في القرن التاسع عشر بأنه ستكون هناك سلسلة من الأحداث تنبيء بنهاية العالم الذي نعيش فيه مثل الحرب وبروز نظام اقتصادي وسياسي عالمي جديد و .. الخ.

وعلى أساس تأويلات دينية يؤيد عدد من الأشخاص النافذين في الإدارة الأمريكية الحالية من أمثال جون اشكروفت وتوم دولاي الأصوليين المسيحيين سياسة متحيزة دون تحفظ لاسرائيل. إذ وطيلة الإنتفاضة الفلسطينية الثانية أنذر دو لاي الرئيس بوش - صديقه - وإدارته ضد أية محاولة للضغط على اريل شارون من اجل انسحاب القوات الإسرائيلية من الضفة الغربية وفي جامعة فولتون، بولاية ميسوري، أي في المكان الذي كان قد القى فيه ونستون تشرشل خطابه الشهير عام 1946 وتحدث فيه عن "الستار الحديدي" الذي شهد بداية الحرب الباردة، صرح دولاي بقوله: "علينا دعم اسرائيل في جهودها الرامية لانهاء القيادة الفلسطينية التي تدفع للعنف وتذكي الحقد".

جذور التحالف المبهم

قام هذا التحالف المبهم بين اسرائيل والمسيحيين المحافظين عام 1977 عندما وصل مناحيم بيغن ومعه حزب الليكود للسلطة في اسرائيل للمرة الأولى وكان بيغن يريد وبأي ثمن كبح مبادرات الرئيس الأمريكي جيمي كارتر الذي كان يتمنى إطلاق مفاوضات ترمي للإعتراف بحق الفلسطينيين بوطن. وقد بذل حزب الليكود جهودا كبيرة من أجل التوثيق بين المحافظين الأصوليين وبين المحافظين المسيحيين المتشددين الداعمين للموقف الاسرائيلي المتشدد. وهكذا وجد جيمي كارتر نفسه فجأة محروما من قاعدة انتخابية مهمة. في عام 1980 كان التأكيد الكبير الذي أبداه المسيحيون الصهيونيون لرونالد ريغان أحد الأسباب الجوهرية في هزيمة جيمي كارتر، وفي يونيو 2001 اتصل مناحيم بيغن هاتفيا بجيري فالويل قبل أن يتصل بالرئيس الأمريكي نفسه كي يعلمه بتدمير المفاعل النووي العراقي "اوزيراك" وفي عام 1982 عندما قررت حكومة بيغن اجتياح لبنان قام اريل شارون، وزير الدفاع الاسرائيلي آنذاك، بزيارة للولايات المتحدة من أجل التأكد من دعم المسيحيين المحافظين. وفي 28 أكتوبر 2002 كتب الصحفي ماثيو انجيل في صحيفة "الغارديان" البريطانية يقول: "في بلاد يزيد عدد الذين يرتادون الكنائس فيها عن عشرين ضعفا عما هو في بريطانيا (40% مقابل 2%) نجد أن العلاقة بين المعتقد الديني والسياسة قوية جدا، وليس هناك أدنى شك بأنه أثناء الربع الماضي، عندما تردد الرئيس بوش وتأخر في اختيار منهجه السياسي في الشرق الأوسط قبل أن يميل إلى جانب اسرائيل، إنما لم يكن تحت تأثير الاقتراع اليهودي وإنما برأي المحافظين المسيحيين الذين يؤكدون أنهم يمثلون مابين 15% إلى 18% من الناخبين، وعندما طلب الرئيس بوش من اسرائيل سحب دباباتها من الضفة الغربية خلال شهر أبريل تلقى البيت الأبيض مئة الف رسالة من محافظين غاضبين، وقبل عشر سنوات عندما كان جورج بوش الأب في البيت الأبيض، كان ابنه البكر بمثابة سفير شبه رسمي لدى مجموعة المحافظين المسيحيين".

لكن أثناء الإنتخابات الرئاسية الأمريكية عام 2000 لم يحظ جورج بوش سوى بنسبة 19% من أصوات اليهود الذين يقترعون تقليديا لصالح الديمقراطيين، مع ذلك بدا بوضوح أن هناك بعض التغير لصالح بوش في بعض الولايات الرئيسية التي اتجه اقتراع اليهود فيها نحو المرشح الجمهوري مثل ولايات فلوريدا وميتشغان وبنسلفانيا، بل وإن نيويورك، المعقل الديمقراطي تقليديا أظهرت بأن أغلبية أصوات اليهود قد ذهبت إلى جورج دبليو بوش.

وفي 1998، عندما زار بنيامين نتانياهو بصفته رئيس وزراء اسرائيل لم يذهب إلى واشنطن ولم يكن لقاؤه الأول مع بيل كلينتون ولكن مع "جيري فالويل" وأكثر من ألف شخصية من الأصوليين المسيحيين وبنفس السنة وأثناء اجتماع للمسيحيين اليمينيين المتشددين أثار المشاعر عندما هاجم بعنف الرئيس الأمريكي.

ثقل الجنوب!

كان الرؤساء الأمريكيون الذين تعاقبوا طيلة عقود على البيت الأبيض من أبناء الساحل الشرقي للولايات المتحدة ثم انزلقت الرئاسية اعتبارا من لندون جونسون عام 1963 نحو الغرب مع ريتشارد نيكسون ورونالد ريغان وجورج بوش الأب، ومع وصول جورج دبليو بوش أصبح مركز الثقل في الجنوب "العميق" الذي كان مهمشا،

وكان جورج دبليو بوش قد عاش وترعرع في ميدلاند بولاية تكساس وقد اكتسب صرامته الدينية بين سكان ولايات الجنوب التي تشكل ماهو معروف باسم "حزام الإنجيل". وللمرة الأولى في تاريخ الولايات المتحدة يلعب هذا "الجنوب العميق" دورا حاسما في تسيير أمور البلاد. إن جون اشكروفت وزير العدل والعديد من الزعماء الدينيين المتطرفين أو المتزمتين القريبين من مركز السلطة هم من أبناء هذه المنطقة. كما أن هذا الجنوب يلعب دورا شديد الأهمية في سيادة منطق الحرب وتعزيز المجمع العسكري الصناعي الشهير والمدعومين كلاهما من السلطة القائمة في واشنطن وكما شرحت مجلة "كاونتر بونش" في تحليل لها: "يمثل الجنوب ثلث سكان أمريكا فقط ولكن 42% من الجنود هم من هذا الجنوب و 56% من القوات الموجودة فوق التراب الأمريكي هي في ولايات الجنوب. والسياسيون الجنوبيون هم أكثر الصقور ضراوة وميولهم في ميدان السياسة الخارجية هي بعيدة عن أفكار السلام والدبلوماسية. وينتج الجنوب أسلحة أكثر من بقية المناطق الأمريكية الأخرى وعقد عام 2001 مايزيد على نسبة 43% من جميع عقود السلاح التي وقعتها الولايات المتحدة. وأخيرا هناك أكثر من ثلثي الأسلحة الأمريكية التي تستخدمها اسرائيل قادمة من مصانع تملكها شركات التصنيع في الجنوب".

وليست قوى اليمين المتطرف المسيحي هي وحدها الفاعلة في إدارة بوش، اذ يوجد بعض العناصر في الفريق الرئاسي يعدون الاكثر تشددا خاصة في دعمهم لعملية "حرية العراق" يدافعون عن أطروحات شبيهة تماما بأطروحات نظرائهم الاصوليين، وذلك من دون ان يشاطروهم رؤيتهم للعالم، هذه العناصر تتألف من اليهود القريبين من حزب الليكود الاسرائيلي. وإن دوجلاس فيث، نائب وزير الدفاع الأمريكي، هو مثال نموذجي للتوافق الحميم بين الإدارة الاميركية الحالية واليمين الاسرائيلي، فهو قريب جدا من "المنظمة الصهيونية الأمربكية" حيث ألقى عدة خطب بمناسبات مختلفة، وكان فيث يدير قبل تسلمه مهام وظيفته مكتبا للمحاماة، حيث كان الفرع الوحيد لهذا المكتب في الخارج موجوداً في اسرائيل، وكان فيث يمثل فيه "صانع سلاح اسرائيلي". لكن نائب وزير الدفاع الأمريكي ليس هو الوحيد بين صقور الإدارة الأمريكية الذي يعمل مع صانعي السلاح الاسرائيليين. فهناك ريتشارد بيرل الرجل القوي الذي كان قد عمل لحساب شركة "سولتام" التي تقوم بتصنيع قطع المدفعية. لكن دوغلاس فيث يتميز عن ريتشارد بيرل وغيره من زملائه بأنه المسئول الاميركي الوحيد الذي يملك سندات في الخزينة الاسرائيلية، غير أنه استثمار متواضع لهذا المسئول الذي يملك ثروة كبيرة تزيد عن 27 مليون دولار أمريكي وكان فيث أيضا قبل وصوله إلى وزارة الدفاع مديرا لـ "مركز السياسة الأمنية" القائم على مبدأ :"تشجيع السلام بواسطة القوة". وقد تولى إدارة هذا

المركز لسنوات طويلة فرانك جافناي الذي يلعب تقليديا دور الصلة بين الصهيونيين المسيحيين لدى اليمين المتطرف الأمريكي وبين الإسرائيليين، حيث يعتبر أحد الأكثر حماسة لبنيامين نتانياهو واريل شارون.

وهناك شخصية أخرى مهمة في الإدارة الأمريكية الحالية تتمثل في اليوت ابرامز الذي تم تعيينه في شهر ديسمبر 2002 مديرا للشرق الاوسط في مجلس الامن القومي للبيت الأبيض تحت امرة كوندوليزا رايس، وابرامز رجل متدين، لكنه ليس الأكثر تدينا في الإدارة الأمريكية الحالية، إذ أن دوف زاخيم رئيس جهاز المحاسبة في البنتاغون هو حاخام متشدد كان يعمل مدرسا للمباديء اليهودية في نيويورك، ويقول ابرامز في أحد كتبه بأنه ينبغي على اليهود إنقاذ هويتهم في أمريكا وذلك ليس بالتركيز على صلات الدم وإنما بالممارسة الحازمة للطقوس الدينية.

و باختصار، فإن هذا الرجل المسئول عن قسم الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي الأمريكي هو وحده الذي يكتب أو يوافق أو يحجز التقارير الخاصة بالنزاع الإسرائيلي الفلسطيني قبل رفعها إلى كوندوليزا رايس أو إلى جوج بوش، إنه رجل متشدد في مناصرته للدعوة إلى إنهاء ما يعتبره "العدو الشرس" لإسرائيل، أي السلطة الفلسطينية.